PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(12): 1636-1651
ISSN: 1553-6939

The French military forts in Al-Maniaa and their role in the invasion and occupation of the Tidicult region

BAKHMED Mohammed[1], KEDIDA Mohammed Mebarek[2]

[1]Laboratory of the Scientific and Cultural Heritage of the Tamanrasset Region, University of Tamanrasset (Algeria), E-mail: bakhmed1900@gmail.com
[2]Laboratory of the Scientific and Cultural Heritage of the Tamanrasset Region, University of Tamanrasset (Algeria), E-mail: m.mebarektam@univ-tam.dz

Received: 10/2024, Published: 12/2024

Abstract:

This research deals with the study and analysis of the subject of French military forts and their role in the French occupation strategy in the regions of the far south of Algeria, and focuses in particular on the forts they established in the Golea region and the role of these forts in the process of invading and occupying the Tidiklet region.

Keywords: Elgolea, Fort Meribil, Fort Iniffel, Tidikelt, Ahgar, French Occupation.

الحصون العسكرية الفرنسية في المنيعة ودورها في غزو واحتلال منطقة تيديكلت

باخمد محمد[1]، د. كديدة مبارك[2]

[1]مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست، جامعة تامنغست (الجزائر)، البريد الإلكتروني: bakhmed1900@gmail.com
[2]مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست، جامعة تامنغست (الجزائر)، البريد الإلكتروني: m.mebarektam@univ-tam.dz

الملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل موضوع الحصون العسكرية الفرنسية ودورها في استراتيجية الاحتلال الفرنسي في مناطق أقصى الجنوب الجزائري وتركز بالخصوص على الحصون التي أنشأتها في منطقة القوليا ودور هذه الحصون في عملية غزو واحتلال منطقة تيديكلت.

الكلمات المفتاحية: القوليا، حصن مير يبال، حصن اينيفل، تيديكلت، اهقار، الاحتلال الفرنسي.

المقدمة: اعتمد الاحتلال الفرنسي في توسعه في الصحراء الجزائرية على وسائل مختلفة، عن تلك التي انتهجها في شمال الجزائر بعد تجربته مع المقاومات الشعبية الكثيرة التي لم يتوقع منها تلك الصلابة والصمود التي وجدتها قواته التي كانت تحاول أن تغزو وتسيطر، فيمكن اعتبار المساحة الكبيرة للجزائر والتجارب القاسية التي تحملها صفحات المصادر التاريخية جعلت الاحتلال الفرنسي يعيد حساباته ويعيد رسم استراتيجيته في غزو واحتلال المناطق المختلفة في العمق الجزائري مركزة على محاولة تقليل الخسائر في الارواح والخسائر المادية من جهة، ومن جهة اخرى نجد ان بعض المصادر تعتبر 1881م و1910م فترة التوسع والتنافس الاوروبي على القارة الافريقية.

وأهم شيء في استراتيجية الاحتلال الفرنسي للتوسع والمنافسة هو ارسال البعثات الاستكشافية وتشجيع وتحفيز المغامرين والمستكشفين خاصة الذين يقومون برحلات في الصحراء الافريقية والتي كانت تهم فرنسا، فاهتمت هذه الاخيرة بطرق القوافل العابرة للصحراء وأهم الحواضر والأسواق وأهم السلع والطرق المؤدية اليها وغيرها من المعطيات الجغرافية والبشرية والاقتصادية والسياسية، ثم قُدمت في تقارير مهمة استغلها الاحتلال الفرنسي في رسم استراتيجيته التي يتوسع من خلالها أي رسم الخطة بناءا على المعلومات والمعطيات التي قدمها المستكشفون.

وفي الفترة المذكورة انفا كان يهم الاحتلال الفرنسي استكمال التوسع في مناطق أقصى الجنوب الجزائري مثل مناطق اهقار وازجر وتيديكلت وتوات وغيرها من المناطق لاستكمال مشروعه التوسعي والربط بمستعمراته في مناطق افريقيا جنوب الصحراء ولهذا عمل على التركيز على استغلال كل المعلومات وضمان نجاح حملاته العسكرية نحوها باستخدام الخطة الامثل لذلك، ومن بين أهم الاسواق سوق تيديكلت وموقع المنطقة وعلاقته بالمناطق الاخرى كأهقار وتوات مثلا جعل الفرنسيين يضعون خطة عسكرية لغزو تيديكلت رغم بعد المسافة بينها وبين المناطق الاخرى التي هيمن عليها الاحتلال الفرنسي ما يدعونا للتساؤل عن اهمية منطقة تيديكلت في استراتيجية الاحتلال الفرنسي، وهل للحصون العسكرية المشيدة من قبل الاحتلال الفرنسي في منطقة المنيعة دور في خطة الغزو؟ وهل ترتبط هذه المنطقة بمناطق اخرى ما يكسبها أهمية أكثر؟

1 ـ الاوضاع الاقتصادية والسياسية للمنيعة قبل الاحتلال الفرنسي:

تسمى مدينة المنيعة قديما "تاوريرت"وتعني في اللهجة الزناتية المكان العالي، فوجود القصر في قمة الربوة يدل على ذلك(بلحاج،ص1) ونجد اسم القليعة(elgolea) بالفرنسية تصغير لاسم قلعة، اي نسبة للقصر القديم الذي يشبه بنيانه القلعة الحصينة، فحسب الدراسات الاثرية للقصر رجحت بأنه بني ما بين القرن التاسع والعاشرالميلادي من طرف قبائل زناتة البربرية التي كانت تبحث عن الأمن والاستقرار خاصة بعد الهجرة الهلالية(ابوضيف،عمر،1982م،ص60)مما دفع الكثير من القبائل البربرية الى الهجرة نحو الصحراء وبناء العديد من القلاع من بينها القصر القديم بالمنيعة، واستعملت القلعةelgolea النشاط الحضاري، فسكانها الاصليون ابدعو في استغلال المياه ضمن شبكة ري تنم عن مدى وعي وعلم السكان بهندسة الري عن طريق نظام الفقارة قبل الوجود الفرنسي بالمنطقة فهي تتوفر على امكانات اقتصادية هائلة بما فيها الموقع الاستراتيجي في وسط الصحراء وطبيعة مناخها الذي يساعد على انتاج البواكر من الفواكه وأزهار العطور والحوامض(نواصر،2020م،ص157)وعرفت مدينة القليعة خلال القرن التاسع عشر الميلادي، أوضاعا سياسية مضطربة في غالب الاحيان وكثير من التقلبات بسبب الاحداث التي عرفتها فالملاحظ لنمطية بناء القصر يستنتج من خلاله انها كانت في حالة استعداد دائم لاي غزو واعتداء محتمل، فقد عاش هذا القصر سنوات طويلة من الاضطرابات والغزوات استمرت حتى قبيل دخول

الاحتلال الفرنسي لها وسقوطها سنة 1873م (Broc Numa,1987,p302-338) فالقلعة او القوليا من المناطق التي حظيت باهتمام الرحالة العياشي الذي قدم اليها من منطقة قورارة في رحلته الى الحج والمعروفة بماء الموائد في القرن السابع عشر الميلادي، حيث قدم وصفا لها يعد من أهم المصادر التاريخية التي تؤرخ للمرحلة الحديثة حيث قال«....**نزلنا بالقليعة وهي قرية حصينة على حجر صلد في سفح جبل منقطع عنه، ولها ابار كثيرة طيبة الماء ونخيل ليس بكثير، وهي من طاعة سلطان واركلا وبها عامله وهمته على قدر همة مستعمله وقد أخبرني من راه أسود حافي الرجل عاري الرأس، ومع ذلك يتحاكم اليه اهل قريته ويذعنون لأمره وبهذه القرية كان ينزل الشيخ سيدي ابو حفص ابن الولي الصالح سيدي عبد القادر بن محمد ابن بوساحة، ويعرف عند أهل بلده سيدي الشيخ،....،وله حرمة وصيت في هذه النواحي في تلها وصحرائها...**»(العياشي،2006م،ص 111).

من خلال رحلة العياشي نستشف ان:

1ـ الاسم الذي كانت تعرف به المدينة القليعةelgolea

2ـ العلاقة السياسية بين أهل القليعة ومنطقة البيض سيدي الشيخ لوجود سيدي الحاج بحوص ابن الولي الصالح سيدي الشيخ

3 ـ الوضعية السياسية للمدينة من حيث من كان يحكمها والى من كانت تابعة حيث أوضح أنها كانت تابعة لسلطان ورقلة وهو مولاي علاهم بن محمد الذي حكم مدة تسعة وعشرين سنة من سنة 1649م الى1669م(بلحاج،ص ص2 ـ 3)

ومن اهم الاحداث التي ارقت المنيعيين تلك الحملات المباغتة لهم ومن اهمها:

ـ حملة توارق قبيلة تا يتوق وكيل أهنت بالهقار في صيف عام 1887م،بعد ان قطعوا مسافة اكثر من 700 كلم في 10 ايام من أجل مداهمة ابل الشعانبة المواضي شمال شرق القليعة ودارت بينهم مواجهة كبيرة قرب بئر حاسي اينيفل حيث قتل عدد كبير من التوارق وأسر سبعة منهم وتم تسليمهم للقوات الفرنسية بعد اقامة قصيرة لهم في غرداية تم نقلهم الى الجزائر وسجنهم في حصن بابا عزون اين التقى بهم غي دي موباسان(Guy de Maupassant) واستجوابهم من طرف النقيب هنري بيسويل(Henri Bissuel) ومن هذه المقابلات جاء كتاب توارق الغرب بالاضافة الى خريطة الأهنت الاولى التيرسمها التوارق على رمال ساحة سجنهم ومن جانبه كان اميل ماسكراي(Emile Masqueray) عالم الانثروبولوجيا الناطق بالعربية يتردد باستمرار على السجناء وبفضلهم استطاع ان يقوم بعمل لغوي مهم على لغة التمهاق، وتشهد على ذلك ملاحظاته النحوية حول قواعد التوارق والنصوص التي نشرت سنة 1896م، حيث رافقا ماسكراي سجينان هما كينان اق تيسي وتشيكاد اق غالي في رحلة الى باريس لحضور المعرض العالمي لعام 1889م وفي هذه المناسبة التقيا بالعالم الجغرافي هنري دوفيريي(Henri Duveryrier) الذي سيتدخل لاطلاق سراحهما بحكم العلاقة الطيبة التي تربطه بالتوارق (Henri Bissuel,1888,p1,2).

ـ حملة باجودة قائد عين صالح على الشعانبة المواضي سنة 1833م حيث تم الاستلاء على 300 رأس من الابل وقتل رجلين من اولاد لحبيب هذه الحملة التي قطعت العلاقة لوقت كبير بين سكان عين صالح والقليعة(بن ولهة،2016،ص20).

ـ حملة قبيلة البرابر وأولاد مولات سنة 1875م على شعانبة المواضي بالقرب من القصيبة ونهب ما يفوق 80 جملا وقتل 03 رجال(بن ولهة،2016،ص26).

2ـــ احتلال القليعة وانشاء الحصون:

على اثر الاحداث التي اعتبرها الاحتلال الفرنسي معرقلة لعملية التوسع شرعت فرنسا في تطبيق سياستها بتنظيم بعثات استكشافية للمنطقة من بينها هينري دوفيريي Henri ـ بعثة (Duveryrier)،الذي انطلق من مدينة سكيكدة ثم الى القليعة في 09 سبتمبر 1859م يقول دوفيريي" قد تبدو رحلتي الى القليعة لاول مرة هزيمة حيث طردت من هذه المدينة واضطررت تحت التهديد الى الخروج منها ليلا في ظروف مشينة، ومع ذلك فانا اعتبر هذه الرحلة ناجحة.... فأنا قد واجهت الشعانبة الذين أقسموا أنهم سوف يذبحونني،وقدأقمت يوم وليلتين في هذه المدينة شبه سجين ولكن ذلك لم يضايقني..... فقد أدركوا أنه لايمكن تخويفي والانطباع الذي احمله ان هذه الطريق قد انفتحت"Broc) Numa,1987,p302) من خلال هذا التقرير ندرك ان هذا المستكشف استطاع ان يتوصل الى معلومات جد هامة عند احتكاكه بالسكان ومعرفة طرق عيشهم وتفكيرهم وأماكن الماء ستساعد المستعمر في التوسع مستقبلا نتيجة لهذه الاوضاع السياسة والاضطرابات وبعثة هنري دوفيريي وبعد ان احتضنت مدينة المنيعة محمد بن التومي بوشوشة وأستعادته زمام المبادرة ضد الوجود الفرنسي بالصحراء الجزائرية كون فرقة المداقنة التي كان أفرادها ينشطون كقطاع طرق ويجوبون الصحراء بحثا عن المؤن فعندما امتدت ثورة اولاد سيدي الشيخ سنة 1872م الى منطقة القليعة تم ارسال رتل من سبعمائة رجل تحت قيادة الجنرال جاليفيت(Gallifet)،غادر هذا الرتل مدينة بسكرة بسرب من الصبايحية وثلاث سرايا من الاتراك وقطعة من الجبالة، دخل الرتل مدينة المنيعة في 24 يناير 1873م وعاد بعد أن منح السكان الامان لكن الفرنسيين فكروا بعد ذلك في احتلال القليعة نهائيا سنة 1886م (Humbert,1996,p248) فعلى إثر تلك الأحداث التي صاحبت بعثاتها الإستكشافية , واللاأمن الذي خشيت منه فرنسا في مشاريعها المستقبلية , وتمهيداً لأطماعها التوسعية , عملت فرنسا على إنشاء مراكز وحصون عسكرية لمراقبة كل تحركات سكان الصحراء , وكمنطلقات أمامية ثابتة لحركة زحفها وتوسعها , مما دل على غزو اقليم تيديكلت ومن وجهة نظر فرنسية بحتة كان اختراق الصحراء نتيجة حركة مزدوجة :

– الأولى: زمنيًا بدأت في وسط أفريقيا من السينغال و السودان للتحرك شمالاً لتصل ذروتها مع الإستلاء على تمبكتو في عام 1894 م .

– الثانية : تتبع بشكل طبيعي محور الشمال والجنوب من المدن الكبرى : وهران ، الجزائر العاصمة، قسنطينة، بسكرة، تقرت ففي عام 1892 احتل الفرنسيون شرق الوادي تقرت و ورقلة في الوسط ثم التوقف والتخييم في المنيعة غرباً وهي الاستراتيجية نحو عين صالح فالاحتلال كان يتبع خط السكة الحديدية التي وصلت جنان بورزق وتتقدم نحو بني ونيف وفقيق هذا الخط يرسم حدود منحنى تصل نقطته الجنوبية إلى المنيعة (القولية) على بعد 900 كم من الجزائر العاصمة، بينما في الشرق والغرب تؤثر الحدود على المزيد من المناطق الشمالية فلم يكن هذا التحديد مصطنعًا كما يبدو في الواقع، بل فرض التكوين الجغرافي هذا التتبع(henri ;1864 ;p250) ، في التضاريس الصحراوية لرؤية ذلك في الشرق يشكل عرق (أوريونتال) الشرقي الهائل حاجزاً سالكًا تقريبًا بحيث يشكل موقع برج ألمي وبرج بيرصوف الحد الأقصى الذي سيتجاوزه الفرنسيون مستقبلا، ويحتل محور الشمال والجنوب الأوسط على بعد حوالي100 كم جنوب المنيعة في اتجاه تادمايت حمادة شاسعة 300 كم من الشمال إلى الجنوب و

400 كم من الشرق إلى الغرب هذه التضاريس المسطحة بشكل موحد لا تحتوي على نقطه ماء وبالتالي فهي منطقة يصعب على القوافل عبورها، من ناحية أخرى أتاح تحديد موقع حصن إينيفل (inifel) في وادمية السيطرة على طريق القوافل بين عين صالح و ورقلة بينما حصن ميربيل (miribel) على واد الشبابة شرقًا على هضبة تادمايت أكمل نظام المراقبة من خلال مراقبة المسار من المنيعة (القولية) إلى غدامس وعين صالح (p135; 1900; ludovic).

لقد فهم الفرنسيون سريعا الحاجة الى تثبيت محطات فرعية جنوب العرق عند نقاط المياه في حاسي مسقم والبيوض و تيماسنين خاصة طريق عين صالح غدامس لكن الأحداث ستندفع و سيتم بناء حصن واحد فقط لاحقا في تيماسنين، أما بالنسبة للغرب فوجود العرق الغربي الكبير كعقبة يصعب عبورها فالطريقة الوحيدة التي استخدمها الفرنسيون هو إختراق الحافة الغربية للعرق بمحاذاة وادي زوزفانة و الساورة بطريقة جعلتهم يتقدمون نحو الجنوب ويمرون بالضرورة من خلال احتلال واحات توات هذا الحدث الذي قد يكون له عواقب سياسية حادة مع المغرب لان في الواقع المغرب حافظ لقرون طويلة على روابط صداقة سكان واحة توات، قورارة تيدكلت، فالفرنسيون يقولون في تقاريرهم " إن احتلال عين صالح سيقودنا حتماً إلى إحتلال توات وقوراره ولم يبقى لنا إلا أن نتساءل إذا كان عملنا في هذه البلدان طبيعي او سيسبب لنا مشاكل مع المغرب، هذه المخاوف التي نعبر عنها في بعض الأحيان هي مجرد خرافة فمعاهدة 1845 المبرمة بعد معركة إيسلي لا تذكر إلا مركزًا واحد معفى للمغرب وهو فقيق". (deporter ,1891,p67)

فالفرنسيون على علم بحساسية سكان توات نحوهم ويقلقون من قيادتهم لذلك لم يرغبوا في تصعيد الموقف من خلال بدأ المواجهة على الفور فتم اتخاذ قرار:

ـ مد خط السكة الحديدية من عين الصفراء الى جنان بورزق سنة 1885 حيث بدأو في بناء معقل لن ينتهي حتى عام 1888 م وبناء حصن ماكماهون (MACMAhON) على بعد 180 كم غرب المنيعة (القولية) فاستراتيجية الفرنسين قبضت حكمتها على شكل كماشة من ناحية جعلت السكة الحديدية ذلك ممكنا وجعل الحدود المغربية أكثر إحكامًا كما وفرت النقل والتنقل في وقت قصير لمناطق تتعرض لإنعدام الأمن بسبب مناهضة قبائل أولاد جرير وذوي منيع وبني جيل وأولاد سيدي الشيخ الذين وجدوا ملاذًا أمنا خارج الحدود المغربية عندما كان الخصم يضغط من ناحية أخرى فإن بناء حصن ماكماهون (MAC MAhON) في منطقة قليلة السكان ويسهل الوصول إليها هددت إقليم قورارة (تيميمون) بشكل مباشر (p96, 1890, philebert)، وهكذا احتل حصن إ ينفل وحصن ميربيل وحصن ماكماهون بشكل تخطيطي استراتيجي الزوايا لمثلث ذو أهمية استراتيجية واضحة.

<u>حصن إينفل (INIFEL) مارس 1893 :</u>

تم بناء حصن إينفل على الضفة الشرقية لواد مية على بعد 120 كم جنوب شرق المنيعة (القولية) حوالي 170كم جنوب ورقلة، لطالما كان حاسي إينفل بئرًا مهمًا على طريق عين صالح ورقلة ووجود قبر سيدي عبد الحاكم القريب منه يجلب إليه البدو الرحل إلى هذا المكان حيث شهد القتال الذي كانت القبة مسرحًا له سنة1887م بين شعانبة المواضي من المنيعة و الطوارق كيل تايتوك بقيادة كينان أق تيسي و شكاد أق غالي (p123; 1906; bernard) .

في عام 1884 مر المستكشف فلا ترز (flatters) في مهمته الثانية على حاسي إينفيل وغالبًا ما أقام المستكشف فورو (foureau) هناك بين عام 1890– 1895 لذلك كان اختيار الفرنسيين لهذا الموقع مبررًا تمامًا (p48; 1892; jean)، في أكتوبر 1892 تمت قيادة رتل من خبراء المتفجرات والجنود من الكتيبة الأفريقية الثانية تحت قيادة النقيب الماند (Almand) بصفته نائب الملازم الأول ديلا جرانج (delagrange) الذي كان قائد لقسم so للرماة راكبو المهاري، كان مكلف عن حماية الموقع وحراسة المحطة الفرعية التي تجري بها الأشغال المستقبلية .

كان الحصن على شكل مستطيل أبعاده 30 مx 40 م محصن من الشمال الغربي والجنوب الشرقي على الواجهة الجنوبية أتاح برج المراقبة الذي يعلوه بمراقبة الوافدين من عين صالح، داخل الحصن عشرات الغرف لاقامة حوالي 50 رجلاً وهناك أيضا مستودع للأسلحة ومستودعات أخرى، والفرن، وغرفة القائد، والوجبات (p50; 1892; jean).

حصن ميريبل (Miribel) مارس 1894:

كان قرار بناء حصن ميريبل 125 كم جنوب شرق المنيعة على مسار عين صالح وطريقها تمليه الضرورات الاستراتيجية بينما كان الحصن المبني بالفعل في إينفل يسيطر على المحور شمال ورقلة عين صالح، كان من الضروري توفير موقع أكثر تقدمًا بإتجاه الجنوب ومن أجل إحتلال القولية وعين صالح والسيطرة على طريقهما ، فالجنرال سويني (swiny) قائد فرقة وقسم الجزائر كتب إلى الحاكم العام في 14 سبتمبر 1893 " لا يبدو أن احتلال حاسي الشبابة يعاني من أي صعوبة فهناك بئر واحد فقط لكن المياه لا تزيد عن 4م فوق سطح الأرض ويكفي حفر 2 أو 3 أمتار أخرين لتوفير المياه" (p51, 1892, jean).

بالقرب من البئر نجد خشب البناء ،جميع المواد الضرورية، الحجر الجيري، والحصى، والطين، والأنقاض ورمل النهر لذلك سيكون لدينا فيما بعد مجموعة من البؤر الاستيطانية من الحمر مرورًا بالشبابة، عين سوكي حاسي مسيقم وتستمر حتى محافظة وإقليم قسنطينة، عبر حاسي البيوض و تيماسنين سيشكل هذا الخط مع ممتلكاتنا منطقة من شأنها أن تحقق فوائد هائلة ليس فقط من وجهة نظر مسيرتنا إلى الأمام ولكن من وجهة نظر الأمن والهدوء لدى القبائل، هذا الخط المشغول بإمتلاك عين صالح وأقبلي سيسمح لنا بذلك كشرطة للصحراء ووضع الطوارق حسب تقديرنا الوحيد(p50.52, 1892, jean) .

حصن ما كماهون (Mac mahon) مارس1894:

كان حصن ما كماهون بلاشك نموذج الحصون من جيله لم يكن لديه صورة ظلية فخوره لحصن لا لموند (lalmand) وسحر حص إينيفل الخفي وعظمة حصن ميريبل لكن كان الأكثر فرضًا من حيث أبعاده ولعب دورًا استراتيجيا في الصدارة للواحة مهددًا توات وقورارة كان من المقرر أن يقع حصن ماكماهون (mac mahan) في منتصف الطريق بين المنيعة (القولية) وتيميمون لكن موقعه الدقيق من حاسي لحمر (البئر الاحمر) كان متروكاً للتقدير من قائد المفرزة وتم تحديد التعليمات الصادرة عن هيئة الأركان العامة مذكرة 10 ديسمبر 1893م (p55, 1892, jean) .

3ــ موقع منطقة تيديكلت وأهميته:

الموقع الجغرافي والفلكي : تعتبر تيديكلت إحدى أقاليم توات تقع بالسفح الغربي أو الجنوب الغربي لهضبة تادمايت وهي جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى تبعد عن الجزائر بحوالي 1278 كم (التومي،2005م، ص 18)، تنحصر فلكيا بين دائرتي عرض 25° و 28° شمالا وبين خطي طول 1 و7 شرقًا أما جغرافيا فيحدها من الشرق هضبة تينغرت بمنطقة ازجر ومن الشمال الشرقي العرق الشرقي الكبير ومنطقة ورقلة وشمالاً القوليا ومن الشمال الغربي العرق الغربي الكبير وقورارة وغربًا بلاد توات ورقان ومن الجنوب جبال أهنت ومرتفعات مويدير Mouydir(بوية، 2015م،ص 23) ، يخترقها وادي " أقرابا " الذي يصب في واد مسعود (حوتيه،2007م، ص 35)، تعتبر تيدكلت إحدى أقاليم توات:

- إقليم قورارة ويمتد من تبلكوزة التي تسابيت وعاصمته تيممون
- إقليم توات الوسطى ويمتد من تسابيت إلى رقان وعاصمته تمنطيط ثم تيمي ثم أدرار
- إقليم تيدكلت ويمتد من رقان إلى فقارة الزوى وعاصمته عين صالح

تقع تيديكلت في وسط الصحراء في مجال تجري فيه مياه سطحية وباطنية منذ ما قبل التاريخ من الأطلس حتى النيجر بل حتى الحوض لتاوندي، وتسمى هذه الطبقة الحاملة للمياه والتي تنتمي للعصر الكريتاسي الأسفل بالكنتونتال أنتركالير والتي يبلغ سمكها ما بين 500 – 2000 م (فيرون،1963م، ص263)، ويتكون من الحجر الرملي والطين ويظهر فوق سطح الأرض عند حافه هذه الهوة.

بالنسبة لمناخ المنطقة فهو صحراوي جاف يتميز بارتفاع درجة الحرارة صيفًا والبرودة شتاءًا مع جفاف طول أيام السنة ، والسنة بتيديكلت تتكون من فصلين فقط أحدهما بارد يمتد من نوفمبر إلى فبراير وباقي شهور السنة يتميز بارتفاع درجة الحرارة التي تتجاوز الحد الأقصى 50° م ويرجع ذلك إلى تأثير الموقع الفلكي القريب من مدار السرطان وهبوب الرياح المعروفه بـ" السيروكو " والمعروفة في تيديكلت بـ" أريفي " أو الشهيلي " ووصف إبن سعيد المغربي شدة هذه الرياح بقوله: " إن رياح الصحراء تجفف حتى المياه التي يحملها المسافرون في قربهم (المغربي،1970م، ص20) .

يمر بمنطقة تيديكلت واد وهو غير دائم يرتبط بسقوط الامطار وهو واد جاريت أوقاريت وهو امتداد لعدة أودية تصب فيه من الشمال الشرقي لتيديكلت ومن الجنوب الشرقي من منطقة إيفتسن الواقعة في هضبة مويدير وينطلق هذا الوادي من هناك متجها صوب الجنوب الغربي للإقليم ويتلاشى مجراه جنوب منطقة أقبلي الواقعة جنوب تيديكلت (مجموعة من المؤلفين، ص18) ليتصل في نهايته بواد مسعود ويصبح رافد له ويغور في رق تنزروفت (فرج، 1977م، ص2) وهناك أودية أخرى لكنها صغيرة وأقل أهمية من سابقيها كواد سوف الذي يتبع هضبة مويدير شمال الهقار ويصب في سبخة مكرغان جنوب تيديكلت (مجموعة من المؤلفين، ص19).

أما الغطاء النباتي فيتميز بزراعة النخيل، والدرين والصبار، وبعض النباتات الشوكية التي تنمو في مجاري الاودية (بوتدارة، 2015.2016، ص47).

اما أصل التسمية فقد قدمت مفاهيم دقيقة عن تيديكلت رغم الصعوبات التي واجهها المستكشفون الأوروبيون، واستيلاء القوى الأوروبية على أفريقيا أدى بشكل طبيعي إلى ظهور في العديد من المناطق إلى عدم الثقة والعدائية لهؤلاء الأوربيين المعزولين أحياناً وهو ما أدى بهم إلى التنكر وارتداء ملابس لا تتنافى مع معتقدات السكان للمحافظة على سلامتهم ولجمع معلومات موجزة ودقيقة في هذه المنطقة (voinot ; 1995 ;p4).

فقبل غزو تيدكلت معظم الوثائق تم الحصول عليها والمعلومات الأصلية كانت من قبل السكان و بهذه الوثائق أعطت قيمة للجدال في ذلك الوقت وعكست المبالغات الطبيعية أو المقصودة من طرف المخبرين الفرنسيين بالإضافة إلى استجواب الأفراد الذين ليس لديهم الفكرة الدقيقة للمكان أو الزمان والتي لا تسمح بكتابة التقرير الدقيق حتى على الخريطة (voinot ; 1995 ;p4) حسب ما قال فوانو في كتابه تيديكلت ثم صرح لاحق«...الأن تيديكلت إحتلت لا شيء يمنع لدراستها، لكن من المستحيل إعادة بناء تاريخ تيدكلت بسبب عدم وجود الوثائق المكتوبة (voinot ; 1995 ;p45) .

القاضي سي حمزة من أقبلي الرجل الذكي جدا يكاد يكون الباحث الوحيد في البلد الذي مكنه من وضع التواريخ في أحداث عاشها اقليم تيديكلت ولكن للأسف ليس لديه معلومات وتفاصيل دقيقة حتى عن تاريخ أقبلي أما عن التجمعات الأخرى تم رصد أساطير روج لها بعض الأفراد في أغلب الأحيان رجال عجائز خلال القرن19 م(voinot ; 1995 ;p45) ، كانت هناك وثائق تحكي وتوثق لتاريخ تيط وبعض التجمعات إلا أنه تم السطو عليها من طرف قبائل ذو ومنيع (الناصري، 1954، ص58) ، عندما اجتاحوا المنطقة فتيديكلت هي كلمة بربرية مركبة من : تيد وأوكلت وتعني كف اليد وهي إحدى الحواضر الثلاث لإقليم توات مركزها مدينة عين صالح (بوية، 2015 ص29).

اما المؤلفون القدامى لم يذكروا شيئا عن تيدكلت كإن بطوطة وإبن خلدون الذين كتبا في القرن الرابع عشرة الميلادي عن توات وقورارة ،عن رحلتيهما الى السودان ولم نلمس في أعمالهم ذكر تيدكلت ،وليون الأفريقي والعديد من المؤرخين استمدوا أعمالهم مما كتبه ابن بطوطة وإبن خلدون(voinot ; 1995 ;p46) ، والتزمو الصمت نفسه وهذا لعدم وجود الوثائق والمستندات القديمة، وهذا الغياب للوثائق يمكن تفسيره بشكل كبير وببساطة أنه تم وضع أراضي تيديكلت لهما قيمة بعد فترة طويلة من تلك التي في توات وقورارة أو أن قراها الوليدة لم تجذب في بدايتها إنتباه الرحالة والمسافرين وموقفهم غريب الأطوار تجاه خطوط الاتصال كما يقول الباحث العسكري (VoiNot) غير أنه من المؤكد كما قال هيردوت أن قبائل الجيتول وهم قدماء الأمازيغ سكنوا توات وخلال القرن الأول الميلادي سكن توات فكان الطوارق يشيرون إلى توات في خطاباتهم من فقارة الزوى إلى تبلكوزه .

أما الرحالة الذين ذكروا بعض مناطق تيديكلت فنجد الرحالة الأغواطي فقال «وبعد توات تأتي عين صالح في الجنوب، ثم يأتي بلاد السودان في أقصى الجنوب حيث يتردد التجار لشراء العبيد وتراب الذهب (الأغواطي، 2019ص 94).

ثم ذكر اولف فقال وبلدة اولف محاطة بأسوار مبنية بالطين وفيها الماء الوافر والتمر وللسكان عدد كبير من العبيد وتقع جنوب اولف قرية تيط وفي غربها تقع قرية أخرى تسمى توات الحناء وتنتج هذه البلاد الحناء والتمر بكميات كافية وجدران المنازل مبنيه بالطين وفي توات عدد من المساجد والسكان فيها يصومون ويصلون ويقرؤون ويذكرون وهم تحت نفوذ سلطان اولف ولغتهم البربرية (الأغواطي، 2019م، ص 93).

وممن ذكر أيضا تيدكلت وعين صالح الرحالة أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بإبن مليح يقول " وسلكنا طريق تيديكلت أسفل بلاد توات وهذه الطريق أقرب من الأولى وأسهل منها فبلغنا بعد ثلاث ايام مدشرا صغيرا يقال له ان صالح _أهلها من سامدن احدقت به عيون ونخيل كثيرة اهلها سادات صلحاء أفاضل تلقونا بالرحب والقبول وبالميسور من الطعام (القيسي،1968م، ص133)

4- دوافع احتلال تيدكلت من طرف الفرنسين :

تزامن اكتشاف الفرنسيين للصحراء الجزائرية مع إستتاب أمورهم في الشمال (التل والهضاب العليا) و تراجع مقاومة الأمير عبد القادر ثم توقفها عام 1848 وقد كان اكتشاف الصحراء في بادئ الأمر اكتشافا معرفيا مخابراتيا غير مباشر، وهذ يعكسه ودونه إرنست كاريت (Ernest Carette)1839 وما نشره أوجين دوما (Eugene Doumas) 1848 وكذلك فيرديناند فورو(ferdinand fourreau) 1894 مع الضابط لامي حيث قام بتخطيط الطرق من القليعة الى عين صالح(بوعزيز، 2013م، ص 283) وركز روني بواي (Rene Boye) على أهمية إحتلال عين صالح و الواحات الجنوبية لصالح عمليات التوغل الفرنسي الاستعماري الى أقصى الجنوب وما وراء الهقار(p143; 1900; boye) واهتم كل من لابرين وفليكس قوتي بدراسة اوضاع الطوارق ومناطق الجنوب خلال رحلتهما التي قاما بها هناك فلابيرين درس الظواهر الجيولوجية والمورفولوجية من خلال رحلاته هو ورحلات نيجير وبيسي خاصة بالنسبة لأقاليم تيدكلت وأدرار والهقار وأهنيت وتانزروفت و طاسيلي، وتيفيدست وعين صالح(37.63.123.139 p; 1905; lapirrene) .

الفرنسيون كانت لهم ثلاثة اهتمامات:

الاهتمام الأول: وهو الأساسي ويتمثل في الغزو والتوسع الذي اعتادوا على نعته بالاستكشاف والتعرف على إمكانات الصحراء الاقتصادية والبشرية لاستغلالها واكتشاف المظاهر الجغرافية التضاريسية والمناخية والطوبوغرافية والطاقة المائية ودراسة المجموعات السكانية عاداتها وتقاليدها وتاريخها السياسي والحضاري (بوعزيز،2013م، ص278).

الاهتمام الثاني: برز كنتيجة للاهتمام الأول وهو وضع شبكة المواصلات الحديدية البرية وأسلاك الهاتف لكي ينتقل المسلمون في ظروف آمنة فتعددت رحلات المستكشفين الدارسين المختصين والمغامرين المرتزقة وتعددت وجهات نظرهم كذلك حول تلك المشاكل والحلول والاقتراحات (بوعزيز،2013م، ص77.78).

الاهتمام الثالث: برز كنتيجة للاهتمامين السابقين ويتمثل في خلق بحر داخلي صحراوي من أجل إحداث تغيير جذري في الظروف المناخية فاتجهت انظار الفرنسين إلى أحواض الجريد التونسي وأحواض بسكرة ووادي سوف في الطرف الشمالي لوادي ايغرغر لاتخاذها نواة لهذا البحر الداخلي الذي قيل إنه كان موجودا في الزمن القديم وأن هيردوت تحدث عنه في القرن الخامس قبل الميلاد ويدعى بحر تريتون وسيربط هذا البحر بخليج قابس في تونس (بوعزيز،1972م،

5 ـ حملة الاحتلال الفرنسي على تيديكلت ومراحلها:

1ـ المرحلة الاولى:

بدأ التفكيروالتخطيط لغزو الصحراء في عهد ماكماهون(MacMahon) 1863م ـ 1870م حيث كلف الجنرال لابروفيلوا Le (Brehevillois) قائد الهندسة للتشكيلة السابعة بدراسة الامكانات المتوفرة لدى جيش الاستعمار للهجوم على القصور الصحراوية وتهيئة الوسائل لتهديم جدران الطوب التي تحصن القصور وكلف كل من دولينيي(Deligny) وكولمب ((Colomb وشنسي (Chanzy) باعادة تنظيم الوحدات العسكرية للفروسية لاعدادها وتأهيلها لحرب الصحراء باستعمال طوابير متنقلة في الجنوب.

وحملة غزو تيديكلت شرع في تطبيقها في عهد جيل غامبو(Jules Gambon) حيث ادخلت اسلحة متطورة ابتداءا من سنة 1866م تمثلت في بندقية لقبت بمخترعها شاسبوا (Chassepot) 1866م – 1874م.

بعد سنوات من الاعداد جاء دور الحملة الفرنسية الاستكشافية العسكرية والتي تسمى بمهمة فلامون ــ بانPain (Flamand) ففي 24 جانفي 1874م يصل جيش الاستعمار لاول مرة الى القليعة (المنيعة) يقوده الجنرال جاليفيت(Gallifet)،تمركز العدو في هذه المنطقة التي تعد المرحلة الاخيرة في تجاه عين صالح(قلوم،1987م،ص38).

2 ـ المرحلة الثانية:

أ ـ معركة الفقيقيرة 28 ديسمبر 1899م:

في شتاء يوم 27 ديسمبر 1899م حلت البعثة الفرنسية تحت قيادة النقيب بان الملقب بغازي قصور تيديكلت و توات في كتب الاستعمار وكانت مدعمة بفرقة من الصبايحية المرتزقة حوالي 130 صبايحي ،حطت رحالها قرب فقارة الحاج عبد القادر زعيم جماعة ايقسطن... عندما علم سكان تيديكلت بقدوم الفرنسيين تجهزوا ولبسو ملابس العيد ومما زاد بسالة ان الشيوخ طلبو المشاركة في هذه المعركة..فسار الجميع نحو لفقيقيرة وكان من بين الاشخاص رجل يدعى قوفة عندما راى الفرنسيين يتقدمون لم يتمالك نفسه وقال جنود الروم يتقدمون نحونا وضغط على الزناد(Martin,1908,136) فعرفت في الذاكرة الشعبية بطلقة قوفا....وهكذا هذه الطلقة عجلت بنشوب العراك بين الفرنسيين ورجال المقاومة ....التي كانت تحت قيادة الزعيم العسكري لرجال المقاومة المهدي باجودة والزعيم الروحي سيدي بابة....وللعلم ان المعركة لم تدم طويلا الا ساعتين نظرا لعدم تكافؤ الاسلحة حيث ان الفرنسيين استخدمو الاسلحة التي كسبوابها النجاح في معارك القرم....حرب القرم (الحرب الشرقية) هي حرب قامت بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية في 4 أكتوبر 1853، واستمرت حتى 1856م. ودخلت مصر وبريطانيا وفرنسا الحرب إلى جانب الدولة العثمانية في 1854م التي كان قد أصابها الضعف، ثم لحقتها مملكة سردينيا التي أصبحت فيما بعد (1861م) مملكة إيطاليا. وكان أسبابها الأطماع الإقليمية لروسيا على حساب الدولة العثمانية وخاصة في شبه جزيرة القرم التي كانت مسرح المعارك والمواجهات، وانتهت حرب القرم في 30 مارس 1856م بتوقيع اتفاقية باريس وهزيمة الروس.

حيث استخدمو بندقية شاسبو المتطورة نسبة لمخترع فرنسي. اخترع البندقية ذات الخزانة المعروفة باسمه استخدمها الجيش الفرنسي 1866م واستعملت في الحرب البروسية الفرنسية 1870.

اما رجال المقاومة استخدمو بنادق الشفرة التي تعتمد على الاقتراب من العدو..والسلاح الابيض والحجارة و الرمل.....وسيطر النقيب بان على الموقف خاصة بعد ان تدعم موقفه بفرقة من الصبايحية بقيادة النقيب جرمان..وكان من نتائج المعركة حسب

مذكرة بان 73 قتيل و 49 اسير منهم 11 من اعيان المنطقة وغنم الفرنسيون 99 جمل 500 قطعة سلاح(حوتية،2007،2007) 12 حصان واحدة كانت في حالة فرار.

ب ـ معركة الدغامشة 05 جانفي 1900م:

بعد سقوط عين صالح الوضع لم يبقى هادئا رغم الخسائر التي مني بها المقاومون فسكان هذه المنطقة فرض عليهم دفع الضريبة او الدية التي قدرت بعشرة الاف فرنك فرنسي قسمت على المرتزقة الذين كانو في صفوف العدو فالقصوريون لم يضعو السلاح بل على العكس بداو في جمع قواهم لطرد المعتدي والتعبئة استمرت في القصور التي لم يصلها الاستعمار واشتعلت نار الحرب من جديد وجاءت النجدة من المناطق المجاورة اينغر تيط اقبلي اولف رقان سالي الهبلة بقيادة مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي العباس بحوالي 800 مقاتل حطت رحالها بقرية البركة ففي ظرف وجيز استطاع الفرنسيون ان يجندو الجواسيس الذين كانو يسترقون السمع واوصلو الخطة الى الفرنسيين وبناء على هذا وضعو خطة مضادة الا وهي التستر وراء الكثبان الرملية فعلى الساعة السابعة صباحا من 5 جانفي 1900 الموافق لي 3 رمضان 1317 هجرية انطلقت المعركة ولم تدم طويلا نظرا لعدم تكافؤ في الاسلحة ومما زاد في تقهقر رجال المقاومة هو انفجار برميل البارود الذي اثر سلبيا على سير المعركة لان رجال المقاومة يستعملون بنادق الشفرة وكان من نتائج المعركة 150 قتيل 200 جريح و 14 اسير(Voinot,1909,p93)

ج ـ معركة اينغر 19 مارس1900م:

امام هذا الوضع بعين صالح قرر الوالي العام للجزائر لافريار تدعيم البعثة بعين صالح بقوات اضافية فامد القائد بومغارتن القائد الاعلى لدائرة المنيعة وامره بالتحرك نحو عين صالح على راس الفرقة العسكرية الصحراوية والتي ضمت 150 جنديا و150 قوميا من المرتزقة وصلت الى القصر الكبير يوم 18 جانفي 1900 اما رجال المقاومة فبعثوا بمراسيل الى القصور المتاخمة لاينغر كل من هو قادر على حمل السلاح فجاءت افواج المجاهدين المتطوعين للدفاع عن كرامة المنطقة جاءو من كل القبائل كونو جيشا تعداده 3000 مقاتل .اما القائد بومقارتن كلف الرائد كلوستر بالسير نحو اينغر على راس 100 فارس للتعرف على الواحة فغادر عين صالح يوم 21 جانفي 1900 ودخلها دون مقاومة تذكر وهو ما دفع الرائد بومكارتن الى الالتحاق به على راس كوكبة من الصبايحية الصحراوية و100 جندي و 120 قومي لاحتلال كامل هذه الواحات وترك وراءه الملازم جون في عين صالح برفقة 30 جنديا و30 قومي فدخل اينغر يوم 24 جانفي 1900 وطلب من السكان الخضوع له الا انه وجد مقاومة شرسه من السكان حيث احتموا بالقصبات وهو تغيير الاستراتيجية عكس معارك الفقيقيرة والدغامشة اللتان كانتا في منطقة منبسطة فدفعت بوزير الحربية ان يصدر اوامره الى بومقارتن بالعودة الى عين صالح فوصلها يوم 27 جانفي 1900 وبدا التخطيط لعمليات قادمة تستخدم فيها المدفعية .اما بعض الاعيان بعين صالح ضعاف النفوس وتحت الضغط بعثو رسالة الى اهالي اينغر ولقد كتبها الضابط مارتن في كتابه اربع قرون من تاريخ الصحراء بعد ان عثر عليها في عين الحاج الشيخ ..صفحة 328–329 هذه الرسالة تحث اهالي اينغر على الاستسلام للاسياد الجدد لان المقاومة لا تنفع معهم ثم يتوسلو اليهم باسم المحبة والاخوة بان لا يرفعو اسلحتهم امام القوات الفرنسيه الزاحفة لان اسلحتهم اقوى وانجع من عتادهم وهم بذلك يريدون تجنيبهم المذبحة المحتملة وهم ينتظرون الرد بعد عيد الفطر وقبل تحرك القوات الفرنسية نحوهم وكانت الرسالة بتاريخ 29 رمضان 1317 هـ الموافق ل 31

جانفي 1900 اما الباشا ادريس بن الكوري (Voinot,1909,p93) استطاع ان يجمع جيش تعداده 1300 مقاتل وفرض ضريبة قدرها 100 دورو اي خمسمائة فرنك على المتخلفين عن القتال ودخل قصر اينغر يوم 13 شوال 1317 هـ الموافق ل 14 فيفري 1900 وتلقى الباشا رسائل التاييد من عدة جهات منها شرفة خنوس ويمثلهم سي الحبيب ابن مولاي السعيد وكذلك مولاي احمد بن امحمد ويظهرون استعدادهم لليوم الموعود وكانت بتاريخ 17 شوال 1317 هـ الموافق ل 18 فيفري (martin,1923,p336).

1900 كذلك رسالة احمد الحاج واحمد قادي من عرب اولاد زنان من اولف رحمة الله عليهم . على كل حال استعد الجميع للقتال ويئس العدو من المناورات فجمع قواته يوم 14 مارس 1900 وشكل منها طابورا قويا يتكون من 1000 بندقية و 150 سيف ومدفعين تحرك الطابور نحو اينغر بقيادة العقيد او فعلم بذلك في المساء وخرج في الغد يتحسس قدوم الفرنسيين وكان يعتقد انه عندما يراه الفرنسيون ستتوقف احتراما له وفجاة وجد نفسه امام فرقة من الصبايحية عين تراقا 14 كم شرق اينغر قذفته بنيرانها فر على اثرها الى اينغر . وصلت القوات الفرنسية الى اينغر يوم 18 مارس 1900 فسارع رجال المقاومة الى التحصن بالكثبان الرملية التي تحيط ببساتين النخيل من الشرق قضو الليلة ساهرين ظنا منهم انهم يستطيعون حماية مدخل الواحة من العدو وقد تفطن قائد القوات الفرنسية الى هذه الاستراتيجية فاعطى اوامره الى الخيالة بالتوجه الى التخوم الغربية لاينغر والتمركز هناك قبل ان يلوح الفجر وامر المهارية الجمالة بتخطي الكثبان فنشبت المعركة صباح يوم 19 مارس 1900 وحاولت القوات الفرنسية زعزعة الصفوف الامامية لرجال المقاومة ليتركو اماكنهم على الكثبان و يحتمو بغابات النخيل ثم عزز القائد الفرنسي هجومه بتقدم المشاة لتطويق الكثبان وصب نيرانه على المقاومين بالواحة الامر الذي اضطرهم للانسحاب والاحتماء بالحصون فتوجه منهم الى قصبى العرب ومنهم الى قصبة المرابطين من اجل تنظيم الدفاع غير ان العدو استخدم المدافع وتمكن من فتح ثغرات وخلد شاعر المقاومة بوتقي بقوله في العرق انصب مدافعو او قدات النار .....كسر الاسوار كاملة كيف اخرجنا ففي الساعة العاشرة وخمس دقائق بدات اسوار القصبتين تنهار ورغم كل ذلك الا ان المقاومين لم يتوقفوا وواصلو القتال من شارع الى شارع بعد ذلك رفع باشا تيمي الراية البيضاء ومن ثم يدخل الفرنسيون الى الواحة المجاهدة مساء يوم 19 مارس 1900 ثم تقدم الباشا الى جنود الاحتلال لكي يثبت لهم انه لم يستخدم الذخيرة التى كانت معه بحجة انه رجل ورع يخاف الله ولم يخلق للقتال وان ما حدث هو قدر محتوم من عند الله ثم انه لا يملك السلطة على المقاومين ليطلب منهم التوقف ثم القت القوات الفرنسية القبض على المقاومين وجمعتهم في ساحة واحدة تحت حراسة مشددة لعدة ايام في انتظار صدور حكم الاعدام فيهم حرقا الا ان احد الضباط الساميين تدخل وامر باطلاق صراح النساء و الاطفال والشيوخ وحمل الباقي من الرجال الى عين صالح بما فيهم الباشا اسرى الى مدينة المنيعة ومما يثير الدهشة ان احد الصبايحية الذين جاءو مع الفرنسيين عندما راى بسالة اهل اينغر توقف عن القتال ورمى بندقيته والف قصيده في هذا الشان يقول فيها.....انجيب في كلامي معظم يوم لمهارما ....جايبو على الحرف امقصص برحو علينا وجمعونا للمضاربة ما لايصير في ذاك المركز برحو علينا لكبار موقفينا بالقناق والساعة تحبس لو خبط لكرير وقلنا الغايطة اجميع من اسمعها ما يدهش عالمين بايغر ناسو لينا موجدين كل يوم لينا تتحسس دايرين علينا عسا في كل فايجة قابضة السطور اتشوف عين سيسا للقط تكون فاليا دايرين عنا زوج اعسس قدر ما يقدم مولى المدفع دار فائدة كسروا القصبة بالصانج انا اعطيت بردوا للاطفال ما زال شادة مخرج اعمايرها تدحس طيحوا اقباطين من الدنيا الفانية في فرنسا كانت تحكم لله يالحاضر عاود لي واش صاير للاصغار وانعيد اقصايد جميع من احضر ليه الجنة ضامنة هو وعسكروا قاع اتهرس .....ثم جاءت بعد ذلك قصائد

الرثاء و الاشادة بقبائل اينغر ومنها الرسالة التي بعثها العالم حمزة يقول فيها لقد ذكرونا عليا في شجاعته وفي المواساة عثمان بن عفان ثم القصيدة التي بعثها العالم السكوتي رحمة الله عليهم جميعا.

6 ــ تأثير ودور الحصون العسكرية في استراتيجية الاحتلال لغزو منطقة تيديكلت:

انتهج جول غامبون (Jules Gambon) استراتيجية عسكرية هجومية باتجاه الجنوب وخاصة تيديكلت بانشاء مراكز محصنة في الحدود الجنوبية على شاكلة الليمس الروماني (شنيتي،1984م، ص242)،حيث رأت فرنسا ان الحاميات التي نصبتها في كل من جيري فيل وميزاب والاغواط غير قادرة على حماية الممتلكات الفرنسية وتوفير الامن فقد امتدت هذه الممتلكات بعد القضاء على ثورة اولاد سيدي الشيخ واحتلال ميزاب وورقلة ابعد نحو الجنوب كونها اصبحت نقاط دعم بعيدة عن الامتداد المحقق حتى سنة 1892م بما يزيد عن 1000 كلم لذا قرر بناء الحصون،حصن اينفل(Inifel) وحصن ميريبل (Miribel) وحصن ماكماهون (Mac mahon) وجميعها اقيم بين سنوات 1892م ـ1894م وخلال هذه السنوات كانت فرنسا قد بلغت جنوب القليعة في خطى متسارعة بغرض اتمام هذه التحصينات المشكلة لمثلث رأسه القوليا وقاعدته تيديكلت وتوات 700 كلم ابعد الى الجنوب من القوليا وهي قاعدة النشاطات والعمليات المقبلة على الواحات الجنوبية فهي تساعد الاستعمار على مد احتلاله للواحات الجنوبية وكهدف مستقبلي أبعد جنوبا بربط الشمال الافريقي مع السودان الغربي(الحاج أمحمد،2012م،ص19).

ونجد أن هذه الحصون كان لها تأثيرودور في استراتيجية غزو تيديكلت تمثل فيما يلي:

1 ـ ضمان انتقال الفرنسيين على شكل طوابير في الصحراء وكقاعدة خلفية لهم.

2 ـ تشييد حصن اينفل عند بئر (حاسي) وهو من بين اهم الابار في الطريق الرابط بين عين صالح وورقلة وتكمن أهمية الحصن في وجود ضريح سيدي عبد الحاكم الولي الصالح الامر الذي يظهر قداسة المكان بالنسبة لأهالي المنيعة وعين صالح وبالتالي يمكن مراقبتهم ومعرفة اخبار المنطقة، ويشهد هذا المكان المعركة التي وقعت بين الشعانبة المواضي وتوارق تايتوق الذين استولوا على عدد من جمال الشعانبة وهو برج مراقبة لحراسة الطريق الاتي من عين صالح باتجاه ورقلة.

3 ـــ حصن ميربال الذي يراقب الطريق بين عين صالح والمنيعة ويقع على مسافة135كلم جنوب المنيعة(مياسي،1996م،ص107) وكان اختيار الموقع لعدة اعتبارات من بينها بئر عمقه 4 امتار ومرعى للابل ويوفر الامن للقبائل الموالية للاحتلال وتمكن قوات الاحتلال في الصحراء من القيام بدور الشرطة خاصة ضد قبائل التوارق والقبائل التي تمر على واد مية.

4 ـ عملية الجوسسة بنقل الاخبار في تقارير دورية تتم دراستها وتحليلها بهدف استغلالها في سياسة فرق تسد والتي اعتمد عليها في التوسع(خنفار،2020م،ص133).

5 ـاستغلال نقطة ضعف القبائل في تيديكلت غير المستقرة والحرة باحتياجاتها الى الواحات التي تعد مركز لتمويل هذه القبائل بالحبوب وكل ما تحتاجه من وسائل استهلاكية فتم التحكم في الاسواق والواحات وخاصة سوق عين صالح بانتهاج سياسة التجويع بالسيطرة على هذا المركز التمويني والاسواق في الواحات المتاخمة لعين صالح.

خاتمة:

البحث ليس نهائي في موضوع دور الحصون الصحراوية في احتلال منطقة تيديكلت يحتاج الى مجال البحث والتنقيب عن المصادر المهمة التي تتطرق الى اهمية هذه الحصون في عملية التوسع في أقصى الجنوب وبالتالي احكام قبضته على طرق القوافل ومنابع الماء وعلى السكان ومن هذه الدراسة نستنتج أن:

ـ بناء الابراج والحصون قرب مدينة المنيعة سهل من مهمة تنقل الفرنسيين في الصحراء على شكل طوابير وكقاعدة خلفية للتزود بالاسلحة والمؤن وكمراكز مراقبة لكل التحركات الخاصة بسكان الصحراء.

ـ فرنسا قامت بانتهاج عدة اساليب لضم تيديكلت للمناطق المستعمرة من خلال المشاريع والحملات الاستكشافية التي تمكنت من تقديم معلومات مهمة عن مجاهل تيديكلت.

ـ القضاء على مهمة فلاترز سنة 1881 ما جعل السلطات الفرنسية تقرر حل اللجنة المكلفة بمشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء

ـ تمكن السلطات الفرنسية من اكتشاف الصحراء وربطها بمستعمراتها في شمال وغرب افريقيا وهذا ما مكن حملة فورو ولامي من عبور الصحراء في مطلع القرن العشرين

ـ ترتب عن معارك تيديكلت تغييرات جذرية على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي

ـ ان التوسع الفرنسي تعرض لمقاومات شرسة من لدن السكان استخدم فيها رجال المقاومة بنادق الشفرة والاسلحة البيضاء.

المصادر والمراجع:

1. ابراهيم مياسي ،2009، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م ـ 1934م ، دار هومة للطباعة والنشر ،الجزائر
2. ابي عبد الله محمد بن احمد القيسي،1968، انس الساري والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الامال والمأرب سيد الاعاجم والاعارب،تح:محمد الفاسي،مطبعة محمد الخامس،المغرب
3. ابي فارس عبد العزيز الفشتالي، (د.ت)مناهل الصفاء في مأثر موالينا الشرفاء،تح: عبد الكريم كريم،مطبوعات وزارة الاوقاف،الرباط
4. احمد الطاهري الادريسي ،2010، نسيم النفحات من اخبار توات ومن بها من العلماء الثقات، تح: عبد الله الطاهري(دون دار نشر)، الجزائر
5. أحمد بن خالد الناصري ،1954،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء : دار الكتاب ، المغرب

6. اسماعيل العربي،1982، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

7. ريمون فيرون،1963، الصحراء الكبرى، تر:جمال الدين الدناصوري،مؤسسة سجل العرب،القاهرة

8. سالم بوتدارة،2015ـ 2016، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية،اطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت اشراف حنيفي هلايلي ، كلية العلوم الانسانية ،جامعة سيدي بلعباس

9. سعيدان التومي،2005، سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس،الجزائر

10. عبد السلام بوشارب،1995، الهقار امجاد وانجاد،المتحف الوطني للمجاهد،رويبة،الجزائر

11. فرج محمود فرج،1977، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر

12. مجموعة من المؤلفين،الاطلس العلمي،المعهد التربوي الوطني والديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر(د.ت)

13. محمد باي بلعالم، 2005، الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الاعلام والاثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة،الجزائر

14. محمد بن ناصر العبودي،1999، سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور، ط1، الرياض

15. محمد مبارك كديدة ،2014، النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في اقصى الجنوب، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية،العدد الرابع ،جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي ،ص22

16. يحي بوعزيز،1972، اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه، مجلة الاصالة، العدد،72، ص52

17. يحي بوعزيز،1979، اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها، مجلة الاصالة، ج1 الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي، وزارة الشؤون الدينية،1979، م،تمنغست،الجزائر،ص ص،57 ـ 58

18. يحي بوعزيز،2009، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائرللنشر والتوزيع، الجزائر

19. يحي بوعزيز،2013، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر

20. يحي بوعزيز،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية،دار البصائر،الجزائر،2008م،ص ص77 ـ78

21.طالب حما بلحاج: تاريخ مدينة المنيعة منذ تاسيسها حتى دخول الغزو الفرنسي، منظمة المجاهدين المنيعة، لم ينشر بعد.

22.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982م، ص60.

23. عبد الرحمان نواصر،النشاط الاقتصادي والثقافي للمستوطنين الفرنسيين في مدينة المنيعة (القليعة)1954-1873م،مجلة أفاق علمية،2020م،ص157.

24.العياشي عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية،تح، سعيد الفاضلي، سليمان القرشي،دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي ،2006 ، ص111.

25. Louis voinot le tidikelt etude sur la giographie l histoire les mœurs de paye edition jacques gandini paris 1995 p32

26. bernard et lacroix la1906 penetration saharienne op cit alger

27. henri doveryrier les touareg de nord op.cit

28. jean charles humbert forts et bordjs de lexterme sud sahara algerien1892 1903 p33

29. le capitane rene boye1900 la question saharien oasis figug du gourara du touat du tidikelt. le touareg paris

30. le commandant lapirrene une tournee dans le sud de lannexe de tidikelt

31. ludovic drapeyron1900 revue de geographie janvier juin 1900 p135

32. Philebert1890 la France en afrique et le transsaharien paris